افتتاحية العدد

عن هيئة التحرير
د. محمد الريوش

لعل الألم الذي تحدثه المعرفة في سبيل سلوك طريقها له آثار جانبية على الباحثين، ومن بين تلكم الآثار إدمان البحث والسؤال وتقليب النظر في المعقولات والمنقولات بحثًا عن «طمأنينة» مضارعة للكبريت الأحمر في الندرة والغموض. وقد تبدو هذه قضية غريبة شيئًا ما، غير أن ربطها بواقع القضايا المعرفية ينفي كل استغراب.

ولا تزال مسألة المنهج وعلاقتها بالتفعيل من المسائل العالقة بالبحث العلمي دوامًا واستمرارًا؛ وكأنه كُتِبَ على الباحثين خوض معركة لا نهاية لها بحثًا عن سكون نفس كلما ظن ظان حصوله إلا ألفى إشكالًا يكدره، يقوده نحو حلقة لا متناهية من التساؤلات والاستشكالات؛ فهل نحن أمام جبرية معرفية؟ الجواب بالنفي أو بالإيجاب لا يعود بفائدة حجاجية على المتلقي؛ وأي متلق هذا يطربه جواب من قبيل «لا» أو «نعم»؟ وقد لا نجانب الصواب لو سككنا قاعدة منهجية فحواها: كل جواب علمي مقتصر على «لا» أو «نعم» لا يعوّل عليه؟ إن الجواب العلمي ما كان مبنيًا على ركيزتين: الأولى معرفية محضة تعكس مدارك الباحث وحدودها ومداها، والثانية حجاجية تراعي ترتيب الأدلة بعضها تلو بعض وكأنها لوحة فنية تترك انطباعا خاصا لدى المتلقي.

والنظر في جزئيات ما سبق كلي؛ هو بمثابة محور رحى استثمار الأفكار والمعارف؛ وللتمثيل

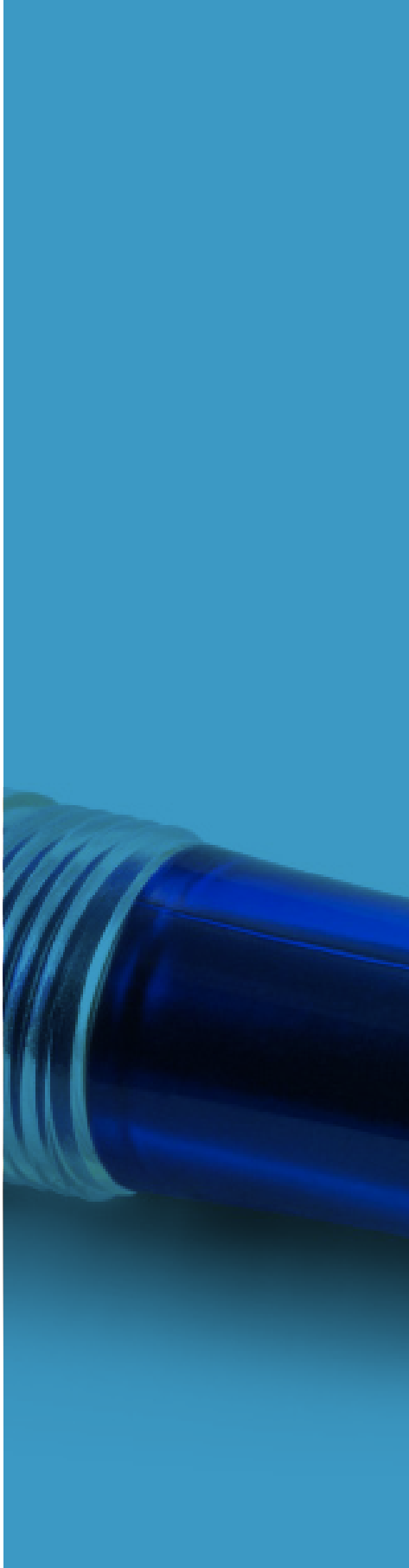

لذلك نورد قضايا تتناولها مقالات تؤثث فضاء العدد الرابع عشر من دورية نماء:

- نجد في الدراسة الأولى المعنونة بـ: «منهجية التشريع وجدلية الوحي والعقل والواقع» لربيع الحمداوي أن الإطار الكلي والأساس المنهجي والسند الفكري الذي يحتكم إليه منهج التفكير الإسلاميه متردد بين ثلاثة أمور: «الوحي والعقل والواقع» ومن ثم فلا يكاد يخرج عنها منهج التقعيد الفقهي، بل يمكن القول إن كل محاولات الاجتهاد والتجديد ترجع إليها. والخطأ في المنهج خطأ في الوجهة والمنطلق؛ لذا فإن سؤالًا قد يلوح ويتجدد دائمًا: كيف يؤدي الخطأ في فهم وظيفة مرجعية الوحي والعقل والواقع إلى فقد الوسائل المنهجية في الاجتهاد؟
- وفي مقال عن الاتجاه الصوفي عند الكرامية والمعنون بـ»بواكير الاتجاه الصوفي عند الكرامية وصلته بالملامتية» لعادل سالم عطية جاد الله نلاحظ أن بعض التفاصيل في البحث العلمي قد تكون مضللة أو غير ذات بال في العملية البحثية الحجاجية؛ من ذلك الاقتصار على اعتبار الكرامية مجرد طائفة معروفة بالزهد والتصوف دون التفتيش فيما لها من مواقف جدلية من بعض قضايا التصوف وموضوعاته، مثل: التوكل وتحريم المكاسب، والولاية، والحلول، والسلطة؛ كما ينضاف إلى هذه الأهمية أمر آخر يتجلى في نقد الآخر للقيم الخلقية وبعض الآراء كما وردتْ عند الكرامية.
- ومن القضايا النظرُ المنهجي المنصب على اللغة، بوصفها حاملًا معرفيًا وبلاغيًا حجاجيًا نقرأ دراسة بعنوان: «الاستبدال في لغة القرآن الكريم مقاربة نصية» لعلي حفظ الله محمد ناصر تتبع ظاهرة الاستبدال في القرآن الكريم، الذي يعد وسيلة من وسائل تماسك الخطاب وانسجامه، كما أنه عامل أساس في توليد دلالات النص وتنوعها في ظل السياقات المختلفة وتختلف باختلاف آليَّات اللغة ومناهجها الحديثة؛ ذلك أن الاستبدال يؤدي

إلى توسيع دلالات النص، ولكونه يعد من عوامل الإقناع، شريطة الالتزام بالتنويع، أي بصيغ شتى وسياقات متنوعة ليكون أكثر فاعلية في الإيحاء المستمر؛ لأنه يجنب السامع/القارئ الملل والسأم، ويذكّره باستمرار الهدف، ويعمق النوعية بالمعنى المقصود منه.

- وفي مقالة بعنون «إشكالية ترييض الطبيعة في الإبستيمولوجيا الجاليلية ومستتبعاتها الفلسفية» لمراد ابن الضو نجدُ أنه لا مجال للحديث عن تنظير رياضي معزول عن واقع فيزيائي. وهذا ما جعل العالم الإيطالي «جاليليو» أول مدشنٍ لمنهجٍ علمي جديد وغير مسبوق، منهج يقوم على ترييض الطبيعة، ونزع الصبغة الشيئية والواقعية الساذجة عن ظواهرها، ومن ثمة أصبحنا ننظر إلى الموضوعات الفيزيائية نظرة هندسية، أي باعتبارها أشكالًا وخطوطًا ومقادير مجردة قابلة للقياس؛ وبالتالي أصبح الكون عبارة عن آلة عظمى منظمة تنظيمًا محكمًا حسب قوانين رياضية صارمة، لا يفهمها إلا من كان لديه تكوين رياضي متين.
- وفي مقال بعنوان «التشكيلة الخطابية بوصفها مفهومًا حيويًا داخل أركيولوجيا فوكو» لخالد المجناوي نلاحظ كيف تحتل في الأركيولوجيا عرش الخطاب واللغة نجدُ أن ميشيل فوكو؛ ذلك أن غاية الأركيولوجيا هي اكتشاف لعبة العلاقات التي تحكم ظهور واختفاء العبارات بعيدًا عن الاستنجاد بأي أفق متعالٍ، أفق قد يتخذ شكل ذات متعالية، أو أصل بعيد يقبع خلف ما هو ظاهر، أو كلية تجمع الشتات وتُوَحِّدُه.

إن سرد هذه القضايا على اختلاف مشاربها المعرفية، دليل على أن المعرفة في بنائها لصيقة بالمنهج وأسئلته، سنامها الحجاج ومراتبه.

إضافة إلى ما سبق نجدُ ضمن هذا العدد ا- ترجمتين: الأولى عن «فلسفة الدين» فلسفة الدين، لأنطوان فيرغوت وهو لاهوتي وعالم نفس وفيلسوف بلجيكي والثانية عن موضوع يتداخل فيه علم الفلك بالفقه

بعنوان: «القِبْلة» للباحثة الإسبانية مونيكا ريوس. ٢- عرض نقدي لكتاب الباحث تميم أنصاري أفغاني أمريكي: Destiny Disrupted: A history of the World Through Islamic Eyes وهو عبارة عن محاولة لتسليط الضوء على تاريخ الشعوب الإسلامية العريق الذي أهمل بالكلية في الدراسات الغربية، ولشرح رؤى هذه الشعوب وأفكارها إزاء الأحداث التي مرت بها خلال تاريخها، بغير إخضاع هذه الرؤى للمعايير والمقاييس التفسيرية الغربية. ٣- حوار متخصص مع فضيلة الدكتور الشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني تناول فيه مجموعة من القضايا المعرفية والمنهجية في علم الحديث.

والله ولي التوفيق.